النهي عن الحسبان في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

إعداد

د. الجازي سعيد حمد القحطاني

أستاذ مساعد بقسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية والتنمية البشرية-

جامعة بيشة

Sqahtani@ub.edu.sa

ملخص البحث

يعد القرآن الكريم نبراس الحياة الذي نستقي منه أمورنا الإيمانية والحياتية، ويعد النهي عن الحسبان من المواضع الثرية بالقيم التربوية والإيمانية التي ينبغي توجيه الضوء إليها، ومن هنا كانت فكرة بحثي الموسوم بـ(النهي عن الحسبان في القرآن الكريم دراسة موضوعية)، ويهدف البحث إلى استخراج القيم التربوية والإيمانية التي اشتملت عليها آيات النهي عن الحسبان في القرآن الكريم، وكيفية تنزيلها على الواقع المعيش. وقد اعتمدت الباحثة على المنهج الاستقرائي، والاستنباطي في دراسة آيات النهي عن الحسبان في القرآن الكريم، دراسة موضوعية. أما عن نتائج البحث فمنها: ورود النهي عن الحسبان في سبعة مواضع، كما أن الناظر في آيات النهي عن الحسبان يجدها حوت أسلوباً فريداً في حث المسلم على التحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل كالنهي عن الحمد بما لم يفعل: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا﴾؛ ففيه ترهيب للمؤمنين عما ذم عليه أهلها من الإصرار على القبائح، والفرح بها ومحبة المدح بما عرى عنه من الفضائل، كما أن النهي عن الحسبان: ﴿فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ فيه بث روح الأمل والتفاؤل في نفس المظلوم؛ لأن الله مطلع على أحوال الظالمين وأفعالهم لا يخفى عليه خافية، وسيعاقبهم على قليله وكثيره لا محالة، ويُحْصِي ذلك ويعده عليهم عداً، وكذلك النهي عن الحسبان ﴿إِنَّ الَّذِينَ جاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ﴾ فيه تربية للمسلم على التسليم بالقضاء، والرضا بالقدر، وأن الخير يكمن في المِحَن، ويخرج من رَحِم البلايا.

الكلمات المفتاحية: الحسبان، النهي، القرآن الكريم، موضوعية.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فالقرآن الكريم آخر كتب الله المنزلة، أنزل على خاتم الأنبياء محمد ﷺ ، فأخرج به الناس من الظلمات الى النور، وحوى بين آياته دستوراً إصلاحياً؛ لذا أقامه الله حجة في فم الزمان، يستنبط دلائل صدقه العلماء على مختلف مشاربهم واتجاهاتهم، ما من شأنه أن يخلِّد في تقاريره، وأحكامه، وتوجيهاته، والعمل بما تتضمنه من أحكام عديدة فيها صلاح الحال والمآل لهذه الأمة الكبيرة.

ولم يكن كتاب مواعظ وتراتيل فحسب، وإنما جمعت فيه كل مقومات الإعجاز؛ ليدفع جاحديه، ويؤيد تابعيه؛ ولهذا حث الله على المسلمين تدبر كتابه، وتكرار النظر فيه ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ [النساء: ٨٢]؛ للاهتداء إلى ما فيه الخير لهم، وما به صلاحهم وقوامهم في الدنيا، والفوز بالجنة في الآخرة؛ وفي بحثي هذا الموسوم ب: ((النهي عن الحسبان في القرآن الكريم – دراسة موضوعية)) أسعى جاهداً إلى استخراج القيم التربوية والإيمانية التي اشتملت عليها آيات النهي عن الحسبان في القرآن الكريم، وكيف نسقطها على الواقع المعيش..

- **أسباب اختياري للبحث:**

يكمن أسباب اختياري للبحث فيما يلي:

١- المساهمة في إثراء المكتبة القرآنية بمثل هذه الموضوعات الحيوية التي تخدم كتاب الله تَعَالَى، وتضبط مصطلحات الكتاب العزيز؛ لبيان أصح معانيها التي يلزم أن نقف عليها حتى لا تختلط المعاني، ويتلاعب بها خاصة في هذا العصر الذي يتسم بالتخبط والعشوائية.

٢- إظهار إعجاز القرآن الكريم، وبيان عظمة بلاغته، وغزارة معانيه وأسراره، واختلاف المعنى حسب السياق الذي ورد فيه دون تضارب أو اختلاف، بل الجميع يكمل بعضه بعضاً في نسق فريد ينبيء عن أنه من عند خالق القوى والقدر.

٣- الرغبة القوية في معايشة كتاب الله – عز وجل-، وإظهار قيمه التربوية والإيمانية من خلال التركيز على مصطلحاته الدقيقة؛ وقدرته الفائقة على إصلاح الجيل الحاضر كما أصلح الله به السلف الصالح.

أسئلة البحث:

١-ما معنى الحسبان في اللغة والاصطلاح.

٢-هل «النهي عن الحسبان في القرآن الكريم» يقتضي الوجوب أم لا؟

٣-كم عدد المواضع التي ورد فيها النهي عن الحسبان في القرآن الكريم؟

٤- ما القيم التربوية والإيمانية التي اشتملت عليها آيات النهي عن الحسبان في القرآن الكريم؟

- **أهداف البحث:**

١- استخراج القيم التربوية والإيمانية التي اشتملت عليها آيات النهي عن الحسبان في القرآن الكريم، وكيف ننزلها على الواقع المُعاش.

٢- بيان مفهوم النهي عن الحسبان في اللغة والاصطلاح .

٣- توضيح المواطن التي ورد فيها النهي عن الحسبان في القرآن الكريم، مع بيان معانيها.

- **الدراسات السابقة:**

بعد البحث والاستقراء لم أقف – حد علمي- على دراسة علمية تناولت موضوع ((النهي عن الحسبان في القرآن الكريم - دراسة موضوعية-)) ودراستها من الناحية الموضوعية البحتة؛ من هنا عزمت على دراسة هذا الموضوع.

وهناك دراسات ثلاث – حسب اطلاعي وحد علمي- تناولت "الحسبان في القرآن الكريم" وهي:

الدراسة الأولى: دلالة لفظ "حسب" ومشتقاته في القرآن الكريم، لإلياس الرفاعي وآخرين.

الدراسة الثانية: مادة "حسب" في القرآن الكريم – دراسة دلالية-، د. عبد العزيز بن عمر عماري.

الدراسة الثالثة: الحسبان في القرآن- دراسة بلاغية-، د. إبراهيم بن علي بركات الجعيد.

وكما يبدو من أسماء هذه الدراسات أنها تختلف عن الموضوع محل البحث؛ لأن دراستي في التفسير الموضوعي بينما هذه الدراسات في اللغة والبلاغة، ونظرًا لاختلاف الهدف والمقصد اختلف طبيعة الدراسة والتحليل.

- **خطة البحث:**

اشتمل البحث على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: احتوت على أهمية الموضوع وسبب اختياري له، ومشكلة البحث، وتساؤلاته، والدراسات السابقة، ومنهجي فيه، وخطة البحث.

المبحث الأول: وقفات مع لفظ «حَسِبَ» في القرآن الكريم، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معاني كلمة «حَسِبَ» في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: مفهوم النهي عن الحسبان في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثالث: المواضع التي ورد فيها النهي عن الحسبان في القرآن الكريم، والمراد منه.

المبحث الثاني: أبرز القيم التربوية والإيمانية التي اشتملت عليها آيات النهي عن الحسبان في القرآن الكريم، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الحث على الجهاد في سبيل الله – عز وجل-.

المطلب الثاني: تحقيق الاعتقاد الصحيح، والإيمان الكامل.

المطلب الثالث: ترغيب النفس البشرية في الإنفاق على المحتاجين والمعوزين.

المطلب الرابع: بث الأمل والتفاؤل، والبعد عن اليأس والقنوط.

المطلب الخامس: تربية المسلم على الأخلاق الفاضلة، والترفع عن الدنايا، والرضا بالقضاء.

الخاتمة: تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: تشتمل على أهم المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وأسْأل الله – عز وجل – العون والنجاح والسداد، وأنْ يكون بحثي مفيداً نافعاً, كما أسأله -سبحانه وتعالى- أن يجعل هذا العمل صَالحاً، ولوجهه الكريم خالصاً، وأن يعينني على إخراجه على الوجه الذي يرضيه عني وينفعني به، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو نعم المولى، ونعم النصير، وبالإجابة جدير..

- **منهج البحث:**

لقد اعتمدت على المنهج الاستقرائي، والاستنباطي في هذا البحث عن طريق استقراء آيات القرآن الكريم لاستخراج المواضع التي ورد فيها النهي عن الحسبان في القرآن الكريم، ثُمَّ ترتيبها؛ للوقوف على ما له صلة بالبحث مع وضع الآيات في المبحث الخاص بها، وعزوها إلى مواضعها من سورها، مستخدماً المصادر المتنوعة من أجل خدمة البحث وجودته، وظهوره في أبهى حلة.

إجراءات البحث:

١- استقراء الآيات القرآنية التي تتعلق بموضوع النهي عن الحسبان، ثم ترتيبها وتوزيعها على المباحث والمطالب وفق ما يناسبها.

٢- الاعتماد على أمهات كتب التفسير وعلوم القرآن في التوثيق مع ذكر أقوال السادة المفسرين ناسباً لهم أقوالهم حسب مظانها، مع ذكر بيانات المرجع كاملة من حيث محققه، ودار نشره، في آخر البحث؛ لعدم إثقال الحاشية وتطويلها .

٣- الاستعانة بما ورد في السنة النبوية مما له علاقة بموضوع البحث .

٤- التركيز على موضوع البحث وتجنب الاستطراد قدر الاستطاعة .

٥- عزوتُ جميع الآيات القرآنية الكريمة إلى أرقامها في سورها وذلك في صلب الصفحة، وليس في الحاشية السفلية؛ منعاً لكثرة الهوامش .

٦- تخريج الأحاديث والآثار التي ورد ذكرها في البحث من مصادرها الأصلية من كتب السُنة المعتمدة، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيتُ في الحكم عليه بعزوه إليهما أو إلى أحدهما، وإن لم يكن في الصحيحين بحثتُ عنه في كتب السنن والمسانيد والصحاح مع الحكم على أسانيدها ومتونها نقلاً عن المحدثين .

٧- العناية بقواعد اللغة العربية، والإملاء، وعلامات الترقيم، وضبط ما يشكل فهمه أو يصعب نطقه في ثنايا البحث .

٨- شرح الألفاظ الغريبة – إن وجدت- في ثنايا البحث في الحاشية السفلية على حسب ما يحتاج إليه المقام .

٩- رتبت المصادر والمراجع على حسب حروف المعجم، واكتفيت بذكر بيانات المصادر والمراجع كاملة في الفهارس آخر البحث؛ وذلك لعدم إثقال الحاشية .

١٠- الخاتمة: ذكرت أهم النتائج التي توصل إليها البحث وأهم التوصيات .

١١- الفهارس العلمية .

المبحث الأول

وقفات مع لفظ «حَسِبَ» في القرآن الكريم

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معاني كلمة «حَسِبَ» في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: مفهوم النهي عن الحسبان في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثالث: المواضع التي ورد فيها النهي عن الحسبان في القرآن الكريم، والمراد منه.

المبحث الأول: وقفات مع لفظ «حَسِبَ» في القرآن الكريم

المطلب الأول: معاني كلمة «حَسِبَ» في القرآن الكريم

الأصل أن لمادة (حَسِبَ) في المعاجم العربية –الْحَاءُ وَالسِّينُ وَالْبَاءُ– أُصُولٌ أَرْبَعَةٌ:

الْأَوَّلُ: الْعَدُّ تَقُولُ: حَسَبْتُ الشَّيْءَ أَحْسُبُهُ حَسْبًا وَحُسْبَانًا، وَمِنْ قِيَاسِ الْبَابِ "الْحِسْبَانُ": الظَّنُّ يقال: حَسِبْتُهُ كَذَا فَكَأَنَّهُ قَالَ: هُوَ فِي الَّذِي أَعُدُّهُ مِنَ الْأُمُورِ الْكَائِنَةِ.

الثَّانِي: الْكِفَايَةُ، تَقُولُ شَيْءٌ حِسَابٌ، أَيْ كَافٍ، وَيُقَالُ: أَحْسَبْتُ فُلَانًا، إِذَا أَعْطَيْتَهُ مَا يُرْضِيهِ، وَكَذَلِكَ حَسَّبْتُهُ.

الثَّالِثُ: الْحُسْبَانُ، وَهِيَ جَمْعُ حُسْبَانَةٍ، وَهِيَ الْوِسَادَةُ الصَّغِيرَة، وَقَدْ حَسَّبْتُ الرَّجُلَ أُحَسِّبُهُ، إِذَا أَجْلَسْتَهُ عَلَيْهَا وَوَسَّدْتَهُ إِيَّاهَا.

الرَّابِعُ: الْأَحْسَبُ الَّذِي ابْيَضَّتْ جِلْدَتُهُ مِنْ دَاءٍ فَفَسَدَتْ شَعَرَتُهُ كَأَنَّهُ أَبْرَصُ.

وَقَدْ يَتَّفِقُ فِي أُصُولِ الْأَبْوَابِ هَذَا التَّفَاوُتُ الَّذِي تَرَاهُ فِي هَذِهِ الْأُصُولِ الْأَرْبَعَةِ[1].

وقد ردت مادة "حسب" في القرآن الكريم في أكثر من مائة موضع[2]، وقد تعددت المعاني التي استعملها الكتاب العزيز في الآيات الكريمة لهذه المادة حسب السياق الذي وردت فيه، وفيما يلي بيان ذلك:

(١) تأتي بمعنى "الظن": قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقاظا﴾ [الكهف: ١٨]، وقال أيضاً: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٢١٤].

قال القرطبي: ("حَسِبْتُمْ": مَعْنَاهُ ظَنَنْتُمْ)[3].

إن معنى الظن من أهم المعاني التي ترد في سياقات ظن المؤمنين وبيان الله لها؛ كما في وقائع الابتلاء والاختبار لعباده، وفي سياق النهي عن الظن بالله وبسننه– عز وجل– ظن السوء، وغيرها من السياقات المتعددة التي تؤكد معنى الظن لمادة حسب.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، (٢ / ٦٠، ٦١)(ح س ب).

(٢) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، (ص ٢٠٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، (٣ / ٣٣).

(٢) تأتي بمعنى الكفاية: وهذا يتردد في كتاب الله في سياقات متعددة من أبرزها: كفاية الله تعالى لنبيه – ﷺ – وعباده من المؤمنين، وفي شأن أعداء الله كما

تقدم أن عذاب الله كافيهم على كفرهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

قال الزمخشري: (والمعنى: كفاك وكفى أتباعك من المؤمنين الله ناصراً أو يكون في محل الرفع: أى كفاك الله وكفاك المؤمنون)(٤).

ومنه قول النبي ﷺ لأبي موسى الأشعري أثناء قراءته لسورة النساء: حسبك أي يكفي(٥).

(٣) استعمال العدد والتقدير: ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْباناً﴾ [الأنعام: ٩٦] أي يجريان بحساب وتقدير، فلا يجاوزان ما قدر لهما من حركتهما(٦).

(٤) ترد أيضاً بمعنى العذاب(٧): وهناك موضع وحيد في كتاب الله هو الذي جاء على معنى العذاب قال تعالى:﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الكهف: ٤٠].

يقول ابن جرير: (يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل المؤمن الموقن للمعاد إلى الله للكافر المرتاب في قيام الساعة: إن ترن أيها الرجل أنا أقل منك مالاً وولدًا في الدنيا، فعسى ربي أن يرزقني خيرا من بستانك هذا "وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا": يعني على جنة الكافر "حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ": يقول: عذاباً من السماء ترمي به رمياً، وتقذف، والحسبان: جمع حُسْبانة، وهي المرامي)(٨).

هذا، وقد وردت لمادة "حسب" في القرآن الكريم معاني إضافية ترجع إلى المعنى الأساس، والمعنى الإضافي هو المعنى الذي يملكه اللفظ عن طريق ما يشير إليه إلى جانب معناه التصوري الخالص، وهذا النوع من المعنى زائد على المعنى الأساسي، وليس له صفة الثبوت والشمول وإنما

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل، (٢ / ٢٣٤).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ، بَابُ قَوْلِ المُقْرِئِ لِلْقَارِئِ حَسْبُكَ، (٦/ ١٩٦ رقم ٥٠٥٠).

(٦) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، (١ / ٤٠١).

(٧) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، (١٨ / ٢٥).

(٨) جامع البيان في تأويل القرآن، (١٨ / ٢٥).

يتغير بتغير الثقافة والزمن أو الخبرة[٩].

ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿وَكَفى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾ [النساء: ٦]. أي رقيباً يحاسبهم على ما عملوا[١٠]، ولهذا المعنى ارتباط بمعنى العد والتقدير وهو من المعاني الأساسية.

وقوله تعالى: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَما مِنْ حِسابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٥٢].

قيل: معناه: ما عليك من عملهم، فسماه بالحساب الذي هو منتهى الأعمال. وقيل: معناه: ما عليك من كفايتهم، بل الله يكفيهم وإياك[١١]، وهذا أيضاً له ارتباط بأحد المعاني الرئيسة السابقة "العد والتقدير"، أو "الكفاية".

وهكذا في باقي الآيات التي وردت فيها لفظ "حسب"، والذي يحدد ذلك السياق التي جاءت فيه، ويعلم ذلك باستقراء كتب المفسرين، والله أعلم.

المطلب الأول: مفهوم النهي عن الحسبان في اللغة والاصطلاح

مصطلح "النهي عن الحسبان" مركب من كلمتي "النهي"، و "الحسبان"، وهذا يستلزم بيان كل كلمة منهما على حدة، فأقول- ومن الله استمد العون والتأييد-:

أولاً: مفهوم النهي لغة:

النهي ضد الأمر، يقال نهاه ينهاه نهياً فانتهَى وتناهَى، أي كف، وتناهَى الناس عن المنكر، أي نَهى بعضهم بعضاً، والنهي يعني: الزجر عن فعل الشيء[١٢]، وهو أيضاً يأتي بمعنى الْمَنْعُ، يقال: نهاه عن كذا أي مَنَعَهُ عَنْهُ، وَمِنْهُ سُمِّي الْعَقْلُ نُهْيَةً؛ لِأَنَّهُ يَنْهَى صَاحِبَهُ عَنِ الْوُقُوعِ فِيمَا يُخَالِفُ الصَّوَابَ وَيَمْنَعُهُ عَنْهُ[١٣].

---

(٩) انظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر (ص ٣٧)، ط: ٥عالم الكتب، القاهرة ، ١٩٩٨ م .

(١٠) انظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، (١ / ٤٠٣).

(١١) انظر: المرجع السابق (١ / ٤٠٣).

(١٢) انظر: مختار الصحاح، (ص ٣٢٠)، ولسان العرب، (١٥/ ٣٤٣).

(١٣) انظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني، (١/ ٢٧٨)، ط: ١: دار الكتاب العربي- ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

قال الراغب الأصفهاني: (النهي: الزجر عن الشيء قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهى عَبْداً* إذا صَلَّى﴾ [العلق: ٩: ١٠]، وهو من حيث المعنى لا فرق بين أن يكون بالقول أو بغيره، وما كان بالقول فلا فرق بين أن يكون بلفظة (افعل) نحو: اجتنب كذا، أو بلفظة لا تفعل، ومن حيث اللفظ هو قولهم: لا تفعل كذا، فإذا قيل: لا تفعل كذا فنهي من حيث اللفظ والمعنى جميعاً)(١٤).

النهي اصطلاحاً:

الْقَوْلُ الْإِنْشَائِيُّ الدَّالُّ عَلَى طَلَبِ كَفٍّ عَنْ فِعْلٍ عَلَى جِهَةِ الِاسْتِعْلَاءِ، فَخَرَجَ الْأَمْرُ؛ لِأَنَّهُ طَلَبُ فَعْلٍ غَيْرُ كَفٍّ، وَخَرَجَ الِالْتِمَاسُ وَالدُّعَاءُ؛ لِأَنَّهُ لَا اسْتِعْلَاءَ فِيهِمَا(١٥).

وصيغة النهي مقتضية للتحريم، وهي قول القائل "لا تفعل كذا" وهي أوضح صيغ النهي كقوله تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾ [الإسراء: ٣٢]، وهذا يقتضي ترك الفعل المنهي عنه لا محالة وهذا قول جمهور علماء الأصول.

والنهي على درجات فقد ترد صيغة النهي الصريحة ب(لا) لمعانٍ كثيرةٍ غير التحريم نحو: الكراهة، وبيان العاقبة، والأدب، والتحقير، والتحذير وغير ذلك(١٦).

ثانياً: مفهوم الحسبان لغة:

حسبت المال حسباً من باب "قتل": أحصيته عدداً، وفي المصدر أيضاً حِسبة بالكسر وحُسباناً بالضم، وحسبت زيداً قائماً أحسبه من باب "تعب" في لغة جميع العرب إلا بني كنانة؛ فإنهم يكسرون المضارع مع كسر الماضي أيضاً على غير قياس حِسباناً بالكسر بمعنى ظننت، ويقال حسبك درهم أي: كافيك وأحسبني الشيء بالألف أي: كفاني.

والحُسبان: بالضم سهام صغار يرمى بها، وهي مرام صغار لها نصال دقاق يرمى بجماعة منها في جوف قصبة فإذا نزع في القصبة خرجت الحُسبان كأنها قطعة مطر فتفرقت فلا تمر

(١٤) المفردات في غريب القرآن، (ص ٨٢٦).

(١٥) انظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، (١/ ٢٧٨).

(١٦) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، (٣ / ٣٦٧).

بشيء إلا عقرته[١٧].

مما سبق تبين لنا أن "الحسبان" في اللغة يأتي بمعاني: "الإحصاء والعد، والكفاية، وقد تستعمل في القتل والعذاب، وقد سبق بيان ذلك في موضعه.

الحسبان اصطلاحاً:

هو الاعتقاد الراجحُ مع احتمال النقيض، أو أن يحكم لأحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله، فيحسبه ويعقد عليه الإصبع، ويكون بعرض أن يعتريه فيه شك، ويقارب ذلك الظن، لكن الظنّ أن يخطر النقيضين بباله فيغلّب أحدهما على الآخر[١٨].

قال العسكري: (الحسبان لا يكون إلا باطلاً، وأصل الحسبان من الحساب تقول أحسبه بالظن قد مات كما تقول أعده قد مات، ثم كثر حتى سمي الظن حسباناً على جهة التوسع وصار كالحقيقة بعد كثرة الاستعمال وفرق بين الفعل منهما فيقال في الظن حسب وفي الحساب حسب؛ ولذلك فرق بين المصدرين فقيل حسب وحسبان، والفرق بين الظن والحسبان: أن بعضهم قال: الظن ضرب من الاعتقاد، وقد يكون حسبان ليس بإعتقاد ألا ترى أنك تقول أحسب أن زيدا قد مات ولا يجوز أن تعتقد أنه مات مع علمك بأنه حي)[١٩].

ثالثاً: مفهوم النهي عن الحسبان كمركب إضافي:

بعد بيان معنى كلمتي "النهي"، و "الحسبان" على حدة يمكن وضع تعريف موجز – والله أعلم– بأنه: حبس النفس عن الظن السيء الذي يردي صاحبه إلى مهاوي الردى، ويدلَّس عليه الحقائق الواضحات؛ ويستلزم من يصحح له مساره، ويكشف له سوء تقديره في القضايا المهمة، والحوادث المدلهمة، بل حتى في أصول منهجه، ورؤيته للحياة والغيبيات وغيرها[٢٠].

---

(١٧) انظر: الصحاح، (١ / ١١٠)، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (١ / ١٣٤).

(١٨) انظر: التعريفات الفقهية، لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي، (ص ١٤٠)، ط: ١: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، والمفردات في غريب القرآن، (ص ٢٣٤).

(١٩) معجم الفروق اللغوية (ص ٣٤٣)– ط: ١: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ١٤١٢هـ.

(٢٠) انظر: الحسبان في القرآن – دراسة بلاغية، د. إبراهيم بن علي بركات الجعيد، (ص ٢٤)، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها– العدد الحادي والعشرون – شعبان ١٤٣٩ هـ – مايو ٢٠١٨ م.

المطلب الثالث: المواضع التي ورد فيها النهي عن الحسبان في القرآن الكريم، والمراد منه.

حتى يكون القارئ على علم بموضوع البحث رأيت أن أقوم بحصر المواضع التي ورد فيها النهي عن الحسبان في القرآن الكريم(٢١) هنا قبل دراستها، فأقول – وبالله التوفيق–:

الموضع الأول: قوله سبحانه: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[آل عمران: ١٦٩].

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

الموضع الثالث: قوله سبحانه: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَلِلَّهِ مِيراثُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[آل عمران: ١٨٠].

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾[آل عمران: ١٨٨].

الموضع الخامس: قوله تعالى:﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ﴾ [الأنفال: ٥٩].

الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّما يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصارُ﴾[إبراهيم: ٤٢].

الموضع السابع: قوله سبحانه: ﴿فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٧].

الموضع الثامن: قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جاؤُ بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[النور: ١١].

---

(٢١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، (ص ٢٠٠).

الموضع التاسع: قوله سبحانه: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْواهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[النور: ٥٧].

وقد وضح ابن عاشور حقيقة هذا النهي، والمراد منه في مثل هذه الآيات فقال: (وصيغة "لا تَحْسَبَنَّ": ظاهرها نهي عن حسبان ذلك ، وهذا النهي كناية عن إثبات وتحقيق ضد المنهي عنه في المقام الذي من شأنه أن يثير للناس ظن وقوع المنهي عنه لقوة الأسباب المثيرة لذلك، وذلك أن إمهالهم وتأخير عقوبتهم يشبه حالة الغافل عن أعمالهم، أي: تحقق أن الله ليس بغافل، وهو كناية ثانية عن لازم عدم الغفلة وهو المؤاخذة، فهو كناية بمرتبتين،؛ ذلك لأن النهي عن الشيء يؤذن بأن المنهي عنه بحيث يتلبس به المخاطب، فنهيه عنه تحذير من التلبس به بقطع النظر عن تقدير تلبس المخاطب بذلك الحسبان، وعلى هذا الاستعمال جاءت الآية سواء جعلنا الخطاب لكل من يصح أن يخاطب فيدخل فيه النبي ﷺ أم جعلناه للنبي ﷺ ابتداء ويدخل فيه أمته.

ونفي الغفلة عن الله ليس جارياً على صريح معناه؛ لأن ذلك لا يظنه مؤمن بل هو كناية عن النهي عن استعجال العذاب للظالمين، ومنه جاء معنى التسلية للرسول ﷺ(٢٢).

(٢٢) التحرير والتنوير، (١٣/ ٢٤٥، ٢٤٦).

المبحث الثاني

أبرز القيم التربوية والإيمانية

التي اشتملت عليها آيات النهي عن الحسبان في القرآن الكريم

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الحث على الجهاد في سبيل الله – عز وجل-.

المطلب الثاني: تحقيق الاعتقاد الصحيح، والإيمان الكامل.

المطلب الثالث: ترغيب النفس البشرية في الإنفاق على المحتاجين والمعوزين.

المطلب الرابع: بث الأمل والتفاؤل، والبعد عن اليأس والقنوط.

المطلب الخامس: تربية المسلم على الأخلاق الفاضلة، والترفع عن الدنايا، والرضا بالقضاء.

المبحث الثاني

أبرز القيم التربوية والإيمانية التي اشتملت عليها آيات النهي عن الحسبان

المطلب الأول: الحث على الجهاد في سبيل الله عز وجل

كان المنافقون يحذرون الجهاد ويخشونه؛ لأنه يفضي إلى الموت؛ ولهذا سعوا جاهدين لتنفير المؤمنين من الإقدام عليه؛ فأخبر الله تعالى هنا خلاف ما كان يحذره هؤلاء، وبين مصير الشهداء، وفصل أحوالهم بأنهم في الجنة يرزقون، هذا موضع الفائدة، ولا محالة أنهم ماتوا وأن أجسادهم في التراب وأرواحهم حية كأرواح سائر المؤمنين وفضلوا بالرزق في الجنة من وقت القتل حتى كأن حياة الدنيا دائمة لهم[٢٣] فقال تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

والخطاب هنا إما أن يتوجه للرسول الله ﷺ، وإما لكل أحد ممن له حظٌّ من الخطاب[٢٤] أي: لا تحسبن أيها الرسول الكريم، أو أيها المؤمن أن الذين قتلوا في سبيل الله، من أجل إعلان كلمته، لا تحسبنهم أمواتاً لا يحسون شيئاً، ولا يلتذون ولا يتنعمون، بل هم أحياء عند ربهم، يرزقون رزق الأحياء، ويتنعمون بألوان النعم التي أسبغها الله عليهم، جزاء إخلاصهم وجهادهم وبذلهم أنفسهم في سبيل الله[٢٥].

يقول السعدي: (هذه الآيات الكريمة فيها فضيلة الشهداء وكرامتهم، وما منَّ الله عليهم به من فضله وإحسانه، وفي ضمنها تسلية الأحياء عن قتلاهم وتعزيتهم، وتنشيطهم للقتال في سبيل الله والتعرض للشهادة، فقال: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: في جهاد أعداء الدين، قاصدين بذلك إعلاء كلمة الله ﴿أَمْواتاً﴾ أي: لا يخطر ببالك وحسبانك أنهم ماتوا وفقدوا، وذهبت عنهم لذة الحياة الدنيا والتمتع بزهرتها الذي يحذر من فواته، من جبن عن القتال، وزهد في الشهادة. ﴿بل﴾ قد حصل لهم أعظم مما يتنافس فيه المتنافسون، فهم ﴿أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في دار كرامته)[٢٦].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (١ / ٥٤٠)، ومفاتيح الغيب، (٩/ ٤٢٥).

(٢٤) انظر: البحر المحيط في التفسير ، (٣ / ٤٢٧)، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٢ / ١١١).

(٢٥) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (٢ / ٣٣٦).

(٢٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (١٥٦).

وهذه الآية وإن كان العلماء اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في شهداء أُحد(٢٧).

الثاني: أنها نزلت في شهداء بدر(٢٨) لما أفضوا إلى كرامة الله عز وجل وقالوا: ربّنا أعلم إخواننا، فنزلت هذه الآية والتي بعدها.

الثالث: أنها نزلت في شهداء بئر معونة(٢٩) ثم رفعت، فنزلت هذه الآية(٣٠) ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً﴾.

والراجح – والله أعلم– أنه يدخل في عمومها وفي حكمهم كل شهيد يقتل في سبيل الله– عز وجل– صابراً محتسباً(٣١) لا سيما أنه عبر باسم الموصول "الذين" وهو من صيغ العموم(٣٢).

النهي عن الحسبان الذي ورد في الآية هنا هو ﴿أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾؛ فالحسبان: الظن، والنهى ب "لا" هنا منصب على هذا الظن، أي أنهاكم عن أن تظنوا أنهم أموات، ونون التوكيد في قوله «وَلا تَحْسَبَنَّ» لتأكيد هذا النهي(٣٣).

---

(٢٧) فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ، وَمَشْرَبِهِمْ، وَمَقِيلِهِمْ، قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا، أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ، وَلَا يَنْكُلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ، فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ "، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٩] . "أخرجه أبو داود في سننه، بَابٌ فِي فَضْلِ الشَّهَادَةِ، (٣/ ١٥ رقم ٢٥٢٠)، وقال محققه: "حسن".

(٢٨) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، (١ / ٣٤٦، ٣٤٧).

(٢٩) يدل عليه حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، بَابُ فَضْلِ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾، (٤/ ٢١ رقم ٢٨١٤)، ومسلم في صحيحه، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْقُنُوتِ فِي جَمِيعِ الصَّلَاةِ إِذَا نَزَلَتْ بِالْمُسْلِمِينَ نَازِلَةٌ، (١ / ٤٦٨ رقم ٦٧٧).

(٣٠) زاد المسير في علم التفسير، (١ / ٣٤٦، ٣٤٧)، وأسباب نزول القرآن، الواحدي، (ص ١٣٢).

(٣١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٤ / ٢٦٨).

(٣٢) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، (٤ / ١١٢)، دار الكتبي، ط ١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

(٣٣) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (٢ / ٣٣٦).

قال القرطبي: (أخبر الله- تعالى- في هذه الآيات عن الشهداء أنهم أحياء في الجنة يرزقون، فَالَّذِي عَلَيْهِ الْمُعْظَمُ هُوَ مَا ذَكَرْنَاهُ أن حياة الشهداء محققة، ثم منهم من يقول: ترد إليهم الأرواح في قبورهم فينعمون، كما يحيا الكفار في قبورهم فيعذبون.

وصار قوم إلى أن هذا مجاز، والمعنى: أنهم في حكم الله مستحقون للتنعم في الجنة، وَهُوَ كَمَا يُقَالُ: مَا مَاتَ فُلَانٌ أَيْ ذِكْرُهُ حَيٌّ، وقال آخرون: أرواحهم في أجواف طير خضر وأنهم يرزقون في الجنة ويأكلون ويتنعمون؛ وهذا هو الصحيح من الأقوال؛ لأن ما صح به النقل فهو الواقع؛ وحديث ابن عباس- الذي سقناه قبل قليل- نص يرفع الخلاف)[٣٤].

مما سبق تبين لنا أن الآية السالفة التي ورد فيها النهي عن الحسبان فيها رد على شماتة المنافقين، وتحريض للمؤمنين على القتال، وتقرير لحقيقة إسلامية ثابتة هي أن الاستشهاد في سبيل الله ليس فناء بل هو بقاء، وأن الحذر لا يدفع القدر، ولا يسمن ولا يغني بل هو من أجل المطالب التي يتنافس فيها المتنافسون؛ لأن من قدر الله له القتل لا يمكنه الاحتراز عنه؛ ومن لم يقدر له ذلك لا خوف عليه منه، فلا نسلم أن القتل في سبيل الله مكروه، وكيف يقال ذلك والمقتول في سبيل الله أحياه الله بعد القتل، وخصه بدرجات القربة والكرامة، وأعطاه أفضل أنواع الرزق، وَأَوْصَلَهُ إِلَى أَجَلِّ مَرَاتِبِ الفرح والسرور؟ فَأَيُّ عَاقِلٍ يَقُولُ إِنَّ مِثْلَ هَذَا الْقَتْلِ يَكُونُ مَكْرُوهًا[٣٥].

وعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ:﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] قَالَ: "أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ

(٣٤) الجامع لأحكام القرآن، (٤ / ٢٦٨، ٢٧٠).

(٣٥) انظر: مفاتيح الغيب، (٩/ ٤٢٥)، وروح المعاني، (٢ / ٣٣٣).

شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً»، فَقَالَ: "هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا"(٣٦).

المطلب الثاني: تحقيق الاعتقاد الصحيح، والإيمان الكامل

لما بُيّن حالَ من أطاعه ﷺ ؛ وأُشير إلى فوزِه بالرَّحمةِ المطلقة المستتبعةِ لسعادةِ الدَّارينِ قال سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦] عُقِّب ذلك ببيانِ حالِ من عصاه ﷺ، ومآل أمره في الدينا والآخرةِ بعد بيانِ تناهيهِ في الفسقِ تكميلاً لأمرِ الترغيب والترهيب

فقال سبحانه: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [النور: ٥٧].

والخطاب إما لكل أحد ممن يصلُح له كائناً من كانَ، وإما للرسول ﷺ ؛ للإيذانِ بأنَّ الحُسبانَ المذكورَ من القُبحِ والمحذوريةِ بحيث ينهى عنه من يمتنعُ صدورُه عنه فكيف بمَن يمكن ذلك منه؟!(٣٧).

والنهي عن الحسبان في قوله تعالى: ﴿مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ هو في معنى النفي؛ لإفادةِ كون الإعجاز المنفي فيها لا في غيرها فإن ذلك مما لا يحتاجُ إلى البيانِ، بل لإفادة شمولِ عدم الإعجازِ بجميعِ أجزائِها أي لا تحسبنَّهم مُعجزين الله- عزَّ وجلَّ- عن إدراكِهم وإهلاكِهم في قُطر من أقطارِ الأرضِ بما رحُبتْ وإنْ هربُوا منها كلَّ مهرب(٣٨).

---

(٣٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ الإمارة، بَابُ بَيَانِ أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، (٣ / ١٥٠٢ رقم ١٨٨٧).

(٣٧) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦ / ١٩٢).

(٣٨) انظر: روح المعاني، (٩ / ٣٩٨).

قال ابن كثير: (قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ أَيْ لَا تَظُنَّ يَا مُحَمَّدُ أن ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَيْ خَالَفُوكَ وَكَذَّبُوكَ ﴿مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أَيْ لَا يُعْجِزُونَ اللَّهَ بَلِ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَيْهِمْ وَسَيُعَذِّبُهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)(٣٩).

إن النهي هنا فيه تسلية للمؤمنين الذين استمعوا إلى وعد الله لهم بالاستخلاف في الأرض، والتمكين لدينهم ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾ [النور: ٥٥]، وأنهم إذا نظروا فوجدوا ما هم عليه من قلة وضعف، وما عليه الكافرون والمشركون من كثرة وقوة- إذا نظروا فوجدوا هذا، فلا يهولنهم الأمر، ولا يدخل على ثقتهم بوعد الله وهن أو شك، فهؤلاء الكافرون وإن بلغوا ما بلغوا من كثرة وقوة، فإنهم لا شيء أما قدرة الله سبحانه؛ فليمض المؤمنون على إيمانهم، وليستقيموا على ما أمرهم الله فإن هم صدقوا الله، صدق وعده لهم؛ إذ يلقاهم على تلك الصفة التي وعدوا عليها(٤٠).

قال ابن عاشور: (كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَئِذٍ لَمْ يَزَالُوا فِي قُوَّةٍ وَكَثْرَةٍ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ لَمْ يَزَالُوا يَخَافُونَ بَأْسَهُمْ، فَرُبَّمَا كَانَ الْوَعْدُ بِالْأَمْنِ مِنْ بَأْسِهِمْ مُتَلَقًّى بِالتَّعَجُّبِ وَالِاسْتِبْطَاءِ الشَّبِيهِ بِالتَّرَدُّدِ فَجَاءَ قَوْلُهُ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ تَطْمِينًا وَتَسْلِيَةً.

وَالْخِطَابُ لِمَنْ قَدْ يُخَامِرُهُ التَّعَجُّبُ وَالِاسْتِبْطَاءُ دُونَ تَعْيِينٍ؛ وَالْمَقْصُودُ مِنَ النَّهْيِ عَنْ هَذَا الْحُسْبَانِ التَّنْبِيهُ عَلَى تَحْقِيقِ الْخَبَرِ)(٤١).

من هنا يظهر لنا أن هذا الإيمان الكامل، وتلك الطاعة المطلقة لله ورسوله – ﷺ – تستلزم الثقة في تحقيق وعد الله، وحصول النصر والتمكين قال تعالى: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ﴾ [الأنفال: ٥٩]، وفي الكافرين ها هنا قولان: أحدهما: جميع الكفار. الثاني: أنهم الذين انهزموا يوم بدر كقريش وغيرهم، فيمن أفلت من الكفار في حرب النبي ﷺ ، أشفقوا

(٣٩) تفسير القرآن العظيم، (٦ / ٧٤).

(٤٠) التفسير القرآني للقرآن، (٩ / ١٣١٧).

(٤١) التحرير والتنوير، (١٨ / ٢٩٠).

من هلكة تنزل بهم، فلما لم تنزل طغوا وبغوا، فقال الله: "لا تحسبن أنهم سبقوا بسلامتهم الآن؛ فإنهم لا يعجزوننا فيما يستقبل من الأوقات؛ فهُمْ تَحْتَ قَهْرِ قُدْرَتِنَا، وَفِي قَبْضَةِ مَشِيئَتِنَا"(٤٢).

إن النهي عن الحسبان هنا وهو "النجاة من الطلب، والتفلت من سلطة الله"- فيه توهين لشأن المشركين، وتطمين لقلوب المسلمين، وتبشيرهم بالنصر، ودفع لوساوس الخوف التي تطرقهم وهم يعطون من أنفسهم الوفاء لعدوهم بالعهد الذي بينهم وبينه على حين أنه يغدر بهم، ويباغتهم بهذا الغدر، فكيف يحاربهم العدو بسلاح ثم يحرم عليهم محاربته بهذا السلاح؟ فليطمئن المسلمون، وليعلموا أن هؤلاء الذين خانوا العهد لم يسبقوا بتلك الخيانة إلى أخذ فرصة فى المسلمين؛ لأنهم- وقد فعلوا ما فعلوا من خيانة- قد تعرضوا لبغض الله وغضبه؛ وحسبهم هذا خسرانا وبلاء!(٤٣).

قال السعدي:(أي: لا يحسب الكافرون بربهم المكذبون بآياته، أنهم سبقوا الله وفاتوه، فإنهم لا يعجزونه، والله لهم بالمرصاد؛ وله تعالى الحكمة البالغة في إمهالهم وعدم معاجلتهم بالعقوبة التي من جملتها ابتلاء عباده المؤمنين وامتحانهم، وتزودهم من طاعته ومراضيه، ما يصلون به المنازل العالية، واتصافهم بأخلاق وصفات لم يكونوا بغيره بالغيها)(٤٤).

مما سبق يتبيَّن لنا أن النهي عن الحسان هنا فيه قطع أطماع الكافرين في النجاة، وإقناطهم من الخلاص، فكأنه-سبحانه- يقول لهم: إن من لم يصبه عذاب الدنيا بالخزي والاستئصال، فسوف يصيبه عذاب الآخرة، ولا مفر له من ذلك ما دام قد استحب الكفر على الإيمان، أما المؤمنون فلهم من الله- تعالى- التأييد والنصر وحسن العاقبة قال تعالى: ﴿لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ * مَتاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهادُ * لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرارِ﴾ [آل عمران: ١٩٦: ١٩٨].

(٤٢) انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، (٢/ ٤٦٨)، وتفسير القرآن العظيم، (٤ / ٧٠).

(٤٣) انظر: التحرير والتنوير، (١٠ / ٥٣، ٥٤)، والتفسير القرآني للقرآن، (٥ / ٦٤٧).

(٤٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص ٣٢٤).

وفيه دليل أيضاً عَلَى أَنَّ مَا أوجبه الإسلام من المحافظة على العهود مع الأعداء المخالفين في الدين، وما حرّمه من الخيانة لهم فيها، وَمَا شَرَعَهُ مِنَ الْعَدْلِ وَالصَّرَاحَةِ فِي مُعَامَلَتِهِمْ، لَيْسَ عن ضعف ولا عن عجز، بل عن قوة وتأييد إلهي، وَقَدْ نصر الله رسوله والمؤمنين على اليهود الخائنين الناقضين لعهودهم، وَثَبَتَ بِهَذَا أَنَّ قِتَالَ الْمُسْلِمِينَ لَهُمْ وَإِجْلَاءَهُمْ لِبَقِيَّةِ السَّيْفِ مِنْهُمْ مَنْ جِوَارِ عَاصِمَةِ الْإِسْلَامِ ثُمَّ مِنْ مَهْدِهِ وَمَعْقِلِهِ (الْحِجَازِ) كَانَ عَدْلًا وَحَقًّا(٤٥).

المطلب الثالث: ترغيب النفس البشرية في الإنفاق على المحتاجين والمعوزين

من أعظم مقاصد الإنفاق في الإسلام تطهير النفس من البخل والشح، وتحريرها من عُبوديَّة المال، وهذان مَرضان من أَخطر الأمراض النَّفسية التي يَنحط معها الإنسان، ويشقى ويضل ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِه فأولئك هُمُ المفلِحُون﴾ [الحشر:٩]، فهي تطهر المعطي والمنفق، وتذهب عن الآخذ داء الحَسد والبَغضاء؛ لأن المحتاج حين يرى غيره يرتع في النعيم ولا يَمد له يَد العون والمساعدة فإنَّه قلما يَسلم قلبه من الحقد عليه وعلى المجتمع كله قال تعالى:﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣]، من هنا رغب الله – تعالى- المسلم في الإنفاق، وقد تعددت صور هذا الترغيب؛ منها ما جاء في قوله سبحانه:﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَلِلَّهِ مِيراثُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

لما بالغ الله في التحريض على بذل الأرواح في الجهاد وغيره، شرع هاهنا في التحريض على بذل المال، وبين الوعيد الشديد لمن يبخل، وفيها إنكار ظن البخلاء أن ما آتاهم الله هو خير لهم، فأنكر الله عليهم ذلك؛ وإيراد ما بخلوا به بعنوان إيتاء الله – تعالى – إياه من فضله؛ للمبالغة في بيان سوء صنيعهم؛ فإن ذلك من موجبات بذله في سبيله سبحانه(٤٦).

وقد اختلفوا فيمن نزلت على قولين:

أحدهما: أنها نزلت في الذين يبخلون أن يؤدوا زكاة أموالهم، وهو قول ابن مسعود وأبي

(٤٥) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد، (٤٦/١٠)، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

(٤٦) انظر: مفاتيح الغيب، (٩ / ٤٤٢)، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (٢ / ٣٥٠).

هريرة، وابن عباس، والشعبي، ومجاهد، وفي رواية السدي في آخرين.
قال الواحدي: (أجمع جمهور المفسرين على أنها نزلت في مانعي الزكاة)(٤٧).

الثاني: أنها في الأحبار الذين كتموا صفة النبي ﷺ ، ونبوته(٤٨).

الراجح من هذه الأقوال- والله أعلم- أن الآية نزلت في البخل بالمال والإنفاق في سبيل الله وأداء الزكاة المفروضة ونحو ذلك(٤٩)، لأنه هو المتبادر من معنى الآية، وهو المتفق من سياق الكلام؛ وقد تظاهرت أقوال المفسرين في ذلك:

قال ابن جرير: (وأولى التأويلين بتأويل هذه الآية، التأويل الأوَل، وهو أنه معني بـ"البخل" في هذا الموضع، منع الزكاة؛ لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه تأوَّل قوله: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قال: البخيل الذي منع حق الله منه، أنه يصير ثعبانًا في عنقه، ولقول الله عقيب هذه الآية: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾، فوصف جل ثناؤه قول المشركين من اليهود الذين زعموا عند أمر الله إياهم بالزكاة أن الله فقيرٌ، ولا أحدَ أعلم بما عَنى الله تبارك وتعالى بتنزيله، منه عليه السلام)(٥٠).

وقال ابن العربي: (إنَّ هَذِهِ الْآيَةَ دَلِيلٌ عَلَى وُجُوبِ الزَّكَاةِ؛ لِأَنَّ هَذَا وَعِيدٌ لِمَانِعِهَا، وَالْوَعِيدُ الْمُقْتَرِنُ بِالْفِعْلِ الْمَأْمُورِ بِهِ وَالْمَنْهِيِّ عَنْهُ عَلَى حَسَبِ اقْتِضَاءِ الْوُجُوبِ أَوْ التَّحْرِيمِ؛ وَهَذَا الْوَعِيدُ بِالْعِقَابِ مُفَسَّرٌ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ- ﷺ -؛ رَوَى الْأَئِمَّةُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «**مَا مِنْ مَالٍ لَا يُؤَدَّى زَكَاتُهُ إلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يَأْخُذُهُ بِشِدْقَيْهِ يَقُولُ: أَنَا**

(٤٧) أسباب نزول القرآن، (ص ١٣٦)، ت: كمال بسيوني زغلول- ط: ١: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١١هـ.
(٤٨) انظر: زاد المسير، (١ / ٣٥٢).
(٤٩) انظر: المحرر الوجيز، (١ / ٥٤٦).
(٥٠) جامع البيان في تأويل القرآن، (٧ / ٤٣٢، ٤٤٠).

مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ»(٥١)، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، وَهَذَا نَصٌّ لَا يُعْدَلُ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ)(٥٢).

وقال الفخر الرازي: (وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ أَوْلَى، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ وَجْهَانِ: الْأَوَّلُ: أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ:﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ﴾؛ وَلَوْ فَسَّرْنَا الْآيَةَ بِالْعِلْمِ احْتَجْنَا إِلَى تَحَمُّلِ الْمَجَازِ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَلَوْ فَسَّرْنَاهَا بِالْمَالِ لَمْ نَحْتَجْ إِلَى الْمَجَازِ فَكَانَ هَذَا أَوْلَى.

الثَّانِي: أَنَّا لَوْ حَمَلْنَا هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى الْمَالِ كَانَ ذَلِكَ تَرْغِيبًا فِي بَذْلِ الْمَالِ فِي الْجِهَادِ فَحِينَئِذٍ يَحْصُلُ لِهَذِهِ الْآيَةِ مَعَ مَا قَبْلَهَا نَظْمٌ حَسَنٌ، وَلَوْ حَمَلْنَاهَا عَلَى أَنَّ الْيَهُودَ كَتَمُوا مَا عَرَفُوهُ مِنَ التَّوْرَاةِ انْقَطَعَ النَّظْمُ، إِلَّا عَلَى سَبِيلِ التَّكَلُّفِ، فَكَانَ الْأَوَّلُ أَوْلَى)(٥٣).

والذي رجحه الفخر الرازي هو الْبُخْلِ بِالْمَالِ، ولا شك أن البخل بالمال أعم فيشمل مانعي الزكاة والصدقة وغيرهما من وجوه الإنفاق.

وقد افتتحت هذه الآية بالنهي عن الحسبان أن يكون البخل هو خيراً للمقترين:﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ﴾، وأكد هذا النهي بنون التوكيد الثقيلة﴿يَحْسَبَنَّ﴾، وجي بضمير الفصل:﴿هُوَ﴾؛ لدفع إنكار من ينكر ذلك حيث يتوهم الباخلون أنهم ببخلهم يستبقون المال، وفي إعادة الضمير، وذكر الجملة الإسمية:﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ﴾؛ تأكيد من الله– سبحانه– على خطأهم في ذلك، وسوء صنيعهم، والتنصيص على شرّيته لهم مع انفهامها من نفي خيريته؛ للمبالغة في ذلك، وأنه لا خير من ورائه قط؛ وأطلق الشر؛ ليعم الدنيا والآخرة، والتنوين؛ لإفادة التهويل والتفخيم أي: بل هو شر عظيم مهول لهم(٥٤)؛ فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ

(٥١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب :﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، (٦/ ٣٩ رقم ٤٥٦٥).

(٥٢) أحكام القرآن، (١ / ٣٩٦، ٣٩٧)، ط: ٣: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

(٥٣) مفاتيح الغيب، (٩/ ٤٤٣).

(٥٤) انظر: التحرير والتنوير ، (٤ / ١٨٢)، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم، (٢/ ٣٥٢)، و

ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»(٥٥).

يقول أبو السعود: (﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بيانٌ لحال البخلِ، ووخامةِ عاقبتِه وتخطئةٌ لأهله في توهم خيريته حسَبَ بيانِ حالِ الإملاءِ وإيرادُ ما بخِلوا به بعنوان إيتاءِ الله إياه من فضله؛ للمبالغة في بيان سوءِ صنيعِهم؛ فإن ذلك من موجبات بَذلِه في سبيله كما في قوله تعالى:﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾؛ والفعلُ مسندٌ إلى الموصولُ، والمفعولُ الأولُ محذوفٌ؛ لدِلالة الصلةِ عليه، وضميرُ الفصل راجعٌ إليه أي: لا يحسَبن الباخلون بما آتاهم الله مِن فَضْلِهِ من غير أن يكون لهم مَدخلٌ فيه أو استحقاقٌ له هو خيراً لهم من إنفاقه)(٥٦).

تأمل كيف أن هذا النهي عن الحسبان قد كشف الله – سبحانه- به عن سوء فعلهم، وخبث نفوسهم، حيث بخلوا بشيء ليس وليد علمهم واجتهادهم، وإنما هذا الشيء منحه الله- تعالى- لهم بفضله وجوده، فكان الأولى لهم أن يشكروه على ما أعطى، وأن يبذلوا مما أعطاهم في سبيله.

وأظهر هذه الأماني الخادعة التي يعيش فيها أولئك الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله، من قوة أو مال، فلا ينفقون منها في وجوه الحق الداعية لها، وإنهم لهم الخاسرون فى هذا الموقف الذي اتخذوه حيال الحقوق الواجبة عليهم في أموالهم وأنفسهم، حياة قصيرة في هذه الدنيا، لأجل محدود، ومتاع قليل بهذا المال الذي استبقوه لاستيفاء حظوظهم من الشهوات واللذات ثم ما هي إلا لمحة كلمح البصر، وإذا هم في موقف الحساب والجزاء، وإذا هم وأنفسهم التي ضنّوا بها، وأموالهم التي أمسكوا عن الإنفاق منها، خصمان يقتتلان، وإذا هذا المال يتحول إلى أداة عذاب ونكال، يطوَّق أعناقهم بأطواق ثقال، ثقل ما جمعوا وكنزوا(٥٧).

---

(٥٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ- بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، (٤ / ١٩٩٦ رقم ٢٥٧٨).

(٥٦) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٢/ ١٢٠).

(٥٧) التفسير القرآني للقرآن، (٢/ ٦٥٦، ٦٥٧)، عبد الكريم يونس الخطيب، ط: دار الفكر العربي – القاهرة.

المطلب الرابع: بث روح الأمل والتفاؤل، والبعد عن اليأس والقنوط:

إن الإنسان قد تعتريه بعض المصائب والضغوط، فيتولد لديه اليأس والذي هو من صفات النفس البشرية حيث يفقد العبد معه الأمل، ويشعر بالعجز تجاه ما يلقاه من البلايا والمحن؛ فتفوت عليه بعض مصالحه مما قد يقطع باستحالة وقوع الفرج أو كشف الكرب، وحصول النجاة والنصر والتأييد؛ ولذا حذر منه يعقوب – عليه السلام- بنيه فقال لهم: ﴿وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، ونهت عنه الملائكة إبراهيم – عليه السلام- ﴿فَلا تَكُنْ مِنَ الْقانِطِينَ (٥٥) قالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٥: ٥٦].

وقد كانت آيات النهي عن الحسبان في القرآن الكريم لها نصيب عظيم في التنبيه على ذلك، وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً: قوله سبحانه: ﴿فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٧]، فالنهي عن الحسبان هنا منصب على عدم إخلاف الوعد؛ ولم يكن النبي ﷺ ممن يحسب مثل هذا، ولكن خرجت العبارة هكذا، والمراد بما فيها من الزجر من شارك النبي ﷺ في أن قصد تثبيته(٥٨).

ومن عجيب هذه الآية أن الله قدم "المفعول الثاني" لمخلف–وهو: "وَعْدِهِ"– على "المفعول الأول"– وهو " رُسُلَهُ"؛ للدلالة على تحقق ذلك، وأنه واقع وثابت لا محالة؛ فتكون هذه الآية فيها تثبيت للنبيِّ ﷺ ، وتطمين لقلبه، ولغيره من أمَّته من بعده، ووعد لهم بالنصر على الأعداء، وقوى الشر والعدوان المتربصة بهم(٥٩).

ويوضح ذلك الزمخشري فيقول: (فإن قلتَ: هلا قيل: مخلف رسله وعده؟ ولم قدم المفعول الثاني على الأول؟ قلت: قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلاً، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ

(٥٨) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (٣ / ٣٩٠).

(٥٩) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٣ / ٣٤٦).

الْمِيعادَ﴾ [آل عمران: ٩] ثم قال: "رُسُلَهُ"؛ ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعده أحداً- وليس من شأنه إخلاف المواعيد- كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته؟!)[٦٠].

وقيل: تقدم المفعول الثاني هنا، إنما هو للإيذان بالعناية به، لأن الآية في سياق الإنذار والتهديد للظالمين بما توعدهم الله- تعالى- به على ألسنة رسله، فكان المهم في هذه الحال تقديم ذكر الوعيد على غيره[٦١].

لقد وعد الله – عز وجل- المؤمنين بالنصر والفلاح والتمكين، ووعده صادق: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥] ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات:١٧١: ١٧٣]، ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [الْمُجَادَلَةِ: ٢١] .

وعَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[٦٢].

وحقيقة هذا النصر والتمكين ليست قاصرة أو منتهية بهذه الدار الفانية، فقد يموت المسلم دون أن يرى هذا، وإنما تمتد إلى ما بعد الموت، والوقوف بين يدي الله؛ لأن خلف ذلك عبث، منزه عنه الخالق- جل وعلا-.

قال السعدي: (﴿فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ بنجاتهم ونجاة أتباعهم وسعادتهم وإهلاك أعدائهم وخذلانهم في الدنيا، وعقابهم في الآخرة، فهذا لا بد من وقوعه؛ لأنه وعد به

(٦٠) الكشاف عن حقائق التنزيل، (١ / ٢٣٧).

(٦١) انظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، (٨ / ٦٣٤).

(٦٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب- بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ، (٤ / ٢٠١ رقم ٣٦١٢).

الصادق قولاً على ألسنة أصدق خلقه وهم الرسل، وهذا أعلى ما يكون من الأخبار خصوصاً؛ وهو مطابق للحكمة الإلهية، والسنن الربانية، وللعقول الصحيحة، والله لا يعجزه شيء)[٦٣].

ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّما يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

يتعالى الله عن السهو والغفلة؛ فكيف يحسبه رسول الله ﷺ وهو أعلم الناس به؟؛ لذا اختلف العلماء في توجيه ذلك على قولين:

الأول: إن كان خطاباً لرسول الله ﷺ، ففيه وجهان:

أحدهما: التثبيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلاً كقوله تعالى: ﴿وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤]، وقوله: ﴿وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ﴾ [القصص: ٨٨].

ثانيهما: أنّ المراد بالنهى عن حسبانه غافلاً، الإيذان بأنه عالم بما يفعل الظالمون، لا يخفى عليه منه شيء، وأنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله: ﴿وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٨٣] يريد الوعيد.

ويجوز أن يراد: ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون، ولكن معاملة الرقيب عليهم، المحاسب على النقير والقطمير.

الثاني: وإن كان خطاباً لغيره ممن يجوز أن يحسبه غافلاً؛ لجهله بصفاته فلا سؤال فيه[٦٤].

يقول ابن عاشور: (وَصِيغَةُ: "لَا تَحْسَبَنَّ" ظَاهِرُهَا نَهْيٌ عَنْ حُسْبَانِ ذَلِكَ، وَهَذَا النَّهْيُ كِنَايَةٌ عَنْ إِثْبَاتِ وَتَحْقِيقِ ضِدِّ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ فِي الْمَقَامِ الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُثِيرَ لِلنَّاسِ ظَنَّ وُقُوعِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ لِقُوَّةِ الْأَسْبَابِ الْمُثِيرَةِ لِذَلِكَ. وَذَلِكَ أَنَّ إِمْهَالَهُمْ وَتَأْخِيرَ عُقُوبَتِهِمْ يُشْبِهُ حَالَةَ الْغَافِلِ عَنْ أَعْمَالِهِمْ، أَيْ تَحَقَّقْ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِغَافِلٍ، وَهُوَ كِنَايَةٌ ثَانِيَةٌ عَنْ لَازِمِ عَدَمِ الْغَفْلَةِ وَهُوَ الْمُؤَاخَذَةُ، فَهُوَ كِنَايَةٌ بِمَرْتَبَتَيْنِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ النَّهْيَ عَنِ الشَّيْءِ يَأْذَنُ بِأَنَّ الْمَنْهِيَّ عَنْهُ بِحَيْثُ يَتَلَبَّسُ بِهِ

(٦٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص ٤٢٨).

(٦٤) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل، (٢ / ٥٦٢، ٥٦٣)، والبحر المحيط في التفسير، (٦ / ٤٥١).

الْمُخَاطَبُ، فَنَهْيُهُ عَنْهُ تَحْذِيرٌ مِنَ التَّلَبُّسِ بِهِ بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْ تَقْدِيرِ تَلَبُّسِ الْمُخَاطَبِ بِذَلِكَ الْحُسْبَانِ.

وَعَلَى هَذَا الِاسْتِعْمَالِ جَاءَتِ الْآيَةُ سَوَاءً جَعَلْنَا الْخِطَابَ لِكُلِّ مَنْ يَصِحَّ أَنْ يُخَاطَبَ فَيَدْخل فِيهِ النَّبِي- عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- أَمْ جَعَلْنَاهُ لِلنَّبِيِّ ابْتِدَاءً وَيَدْخُلُ فِيهِ أُمَّتُهُ)[٦٥].

إن الآية السابقة تبث روح الأمل والتفاؤل في نفس المظلوم؛ لأن الله– عز وجل- مطلع على أحوال الظالمين وأفعالهم لا يخفى عليه خافية، وسيعاقبهم على قليله وكثيره لا محالة، ويُحْصِي ذلك ويعده عليهم عداً[٦٦]، ففيها تسلية للنبي ﷺ بعد أن عجبه من أفعال المشركين، ومخالفتهم دين إبراهيم، أي: اصبر كما صبر إبراهيم، وأعلم المشركين أن تأخير العذاب ليس للرضا بأفعالهم، بل سنة الله إمهال العصاة مدة[٦٧].

يقول الفخر الرازي: (فَالْمَقْصُودُ مِنْهُ التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى لَوْ لَمْ يَنْتَقِمْ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ، لَزِمَ أَنْ يَكُونَ إِمَّا غَافِلًا عَنْ ذَلِكَ الظَّالِمِ أَوْ عَاجِزًا عَنِ الِانْتِقَامِ، أَوْ كَانَ رَاضِيًا بِذَلِكَ الظُّلْمِ، وَلَمَّا كَانَتِ الْغَفْلَةُ وَالْعَجْزُ وَالرِّضَا بِالظُّلْمِ مُحَالًا عَلَى اللَّهِ امْتَنَعَ أَنْ لَا يَنْتَقِمَ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ)[٦٨].

من خلال ما سبق ظهر لنا أن النهي عن الحسبان قد فتح باب الأمل أمام الحيارى، والمتخبطين، وسلى المظلومين؛ فالله وإن كان قد أمهل الظالمين، وأدرَّ عليهم الأرزاق، وتركهم يتقلبون في البلاد آمنين مطمئنين، فليس في هذا ما يدل على حسن حالهم فإن الله يملي للظالم، ويمهله ليزداد إثماً حتى إذا أخذه لم يفلته[٦٩]؛ فعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(٦٥) التحرير والتنوير، (١٣/ ٢٤٦).

(٦٦) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٤/ ٤٤٢)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، (٣ / ٢٠٢).

(٦٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٩/ ٣٧٦).

(٦٨) مفاتيح الغيب، (١٩/ ١٠٧).

(٦٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص ٤٢٧).

ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]»(٧٠).

المطلب الخامس: تربية المسلم على الأخلاق الفاضلة، والترفع عن الدنايا، والرضا بالقضاء

الناظر في آيات النهي عن الحسبان يجد أنها قد حوت أسلوباً فريداً في حث المسلم على التحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل، وفيما يلي بيان ذلك مفصلاً فأقول – وبالله التوفيق–:

أولاً: الحمد بما لم يفعل: قال تعالى: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

والنهي في الآية هنا نهياً مؤكداً موجه إلى حسبان أن يكون في هؤلاء الأشرار خير، أو أن يظن خيراً في هؤلاء الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، سواء كان الخطاب للرسولﷺ، أو المؤمنين، والمعنى: لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس، وكتمان الحق، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق، وإظهار الحق، والإخبار بالصدق بمنجاة من العذاب؛ إذ لم يحاولوا أن يستروا ما اقترفوه من آثام(٧١).

وتلاحظ أن "المفعول الثاني" محذوف دل عليه ما بعده، وتقدير الكلام هكذا: "ولا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا موفقين أو مهتدين، أو صالحين"، وحذف لدلالة ما بعده عليه، وليذهب العقل كل مذهب فيما يتناسب مع الوصف الذي وصفهم سبحانه به، وهو أنهم يزينون أعمالهم، ويرغبون في المدح الكاذب، فإن ذلك هو الضلال البعيد، وليرتب السامع عليه ما شاء من عدم الهداية وعدم التوفيق، والبعد عن الخير والنفع، فكل ذلك وغيره يتضمنه الكلام المحذوف(٧٢).

---

(٧٠) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن– بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، (٦ / ٧٤ رقم ٤٦٨٦).

(٧١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (٢ / ٥٣).

(٧٢) انظر: البحر المحيط، (٣/ ٤٦٧)، والتحرير والتنوير، (٤/ ١٩٤)، وزهرة التفاسير، (٣ / ١٥٤٣).

إن النهي عن الحسبان هنا في هذه الآية، وإن كانت محمولاً على الكفار أو المنافقين(٧٣)؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ، «أَنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، كَانُوا إِذَا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْغَزْوِ تَخَلَّفُوا عَنْهُ، وَفَرِحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَإِذَا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ، وَحَلَفُوا وَأَحَبُّوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا» فَنَزَلَتْ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾"(٧٤).

ففيها ترهيب للمؤمنين عما ذم عليه أهلها من الإصرار على القبائح، والفرح بها ومحبة المدح بما عرى عنه من الفضائل، ويدخل في ذلك المراؤون المتكثرون بما لم يعطوا.

فليحذر من يأتي بما لا ينبغي ويفرح به ثم يتوقع من الناس أن يصفوه بسداد السيرة، واستقامة الطريقة والزهد، والإقبال على الله تعالى(٧٥).

وهذا ما جاء التحذير منه عن المعصوم ﷺ، فعَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى كَاذِبَةً لِيَتَكَثَّرَ بِهَا لَمْ يَزِدْهُ اللهُ إِلَّا قِلَّةً، وَمَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ فَاجِرَةٍ**(٧٦)»(٧٧).

---

(٧٣) في الآية ستة أقوال: أحدها: أحبوا أن يحمدوا على إجابة النبي ﷺ عن شيء سألهم عنه وما أجابوه. الثاني: أحبوا أن يقول الناس: إنهم علماء، وليسوا كذلك. الثالث: أحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الصلاة والصيام، وهذه الأقوال الثلاثة عن ابن عباس. الرابع: أحبوا أن يحمدوا على قولهم: نحن على دين إبراهيم، وليسوا عليه، قاله سعيد بن جبير. الخامس: أحبوا أن يحمدوا على قولهم: إنا راضون بما جاء به النبي، وليسوا كذلك، قاله قتادة، وهذه أقوال من قال: هم اليهود. السادس: أنهم كانوا يحلفون للمسلمين، إذا نصروا: إنا قد سررنا بنصركم، وليسوا كذلك، قاله أبو سعيد الخدري، وهو قول من قال: هم المنافقون. انظر: المحرر الوجيز، (١/ ٥٥٢)، وزاد المسير، (١ / ٣٥٩، ٣٦٠)، والجامع لأحكام القرآن، (٤/ ٣٠٦).

(٧٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَأَحْكَامِهِمْ، (٤ / ٢١٤٢ رقم ٢٧٧٧).

(٧٥) انظر: محاسن التأويل، (٢ / ٤٧٨، ٤٧٩).

(٧٦) قوله: "وَمَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ فَاجِرَةٍ": ويمين الصبر هي التي ألزم بها الحالف عند حاكم ونحوه وأصل الصبر الحبس والإمساك. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (٢/ ١٢١).

(٧٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان- بَابُ غِلَظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ، وَأَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، (١ / ١٠٤ رقم ١١٠).

وعَنْ أَسْمَاءَ، أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي ضَرَّةً، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ تَشَبَّعْتُ مِنْ زَوْجِي(٧٨) غَيْرَ الَّذِي يُعْطِينِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ(٧٩)»(٨٠).

ثانياً: التسليم بالقضاء، والرضا بالقدر، وأن الخير يكمن في المِحَن، ويخرج من رَحِم البلايا: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جاؤُ بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [النور: ١١]، و"الإفك": أبلغ ما يكون من الكذب والزور والافتراء. وقيل: هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك(٨١)، و«الإفك» قلب الحقيقة عن حالها بالأقوال وصرفها عن جهة الصواب وبذلك شبه الكذب واختصار حديث(٨٢).

والمراد: ما أفك به على عائشة رضى الله عنها، اجتمعوا، وهم عبد الله بن أبي رأس النفاق، وزيد بن رفاعة، وحسان بن ثابت، ومسطح ابن أثاثة، وحمنة بنت جحش، ومن ساعدهم، والذي تولاه عبد الله؛ لإمعانه في عداوة رسول الله ﷺ ، وانتهازه الفرص، وطلبه سبيلاً إلى

(٧٨) أي: المتزين بأكثر مما عنده يتكثر بذلك ويتزين بالباطل، كالمرأة تكون للرجل ولها ضرة، فتتشبع بما تدعيه من الحظوة عند زوجها بأكثر مما عنده لها تريد بذلك غيظ صاحبتها وإدخال الأذى عليها. شرح صحيح البخارى لابن بطال، (٧/ ٣٤٦، ٣٤٧).

(٧٩) قوله: "كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُور": أي: الرجل يلبس ثياب أهل الزهد فى الدنيا، يريد بذلك الناس ويظهر من التخشع والتقشف أكثر مما فى قلبه، فهذه ثياب الزور والرياء. وفيه وجه آخر أيضًا: أن يكون أراد بالثياب الأنفس، والعرب تفعل ذلك كثيرًا، يقال: فلان نقى الثوب، إذا كان بريئًا من الدنس والآثام، وفلان دنس الثياب، إذا كان مغموصًا عليه فى دينه. وقال أبو سعيد الضرير: هو أن يستعير شاهد الزور ثوبين يتجمل بهما ويتحلى بهما عند الحاكم، وإنما يريد أن يقيم شهادته. شرح صحيح البخارى لابن بطال، (٧/ ٣٤٧).

(٨٠) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، (٧ / ٣٥ رقم ٥٢١٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، بَابُ النَّهْيِ عَنِ التَّزْوِيرِ فِي اللِّبَاسِ وَغَيْرِهِ وَالتَّشَبُّعِ بِمَا لَمْ يُعْطَ، (٣ / ١٦٨١ رقم ٢١٢٩).

(٨١) انظر: معجم مقاييس اللغة، (١ / ١١٨)، ولسان العرب، (١٠/ ٣٩٠).

(٨٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤ / ١٦٨).

الغميزة[٨٣]، مر صفوان رضى الله عنه بهودجها[٨٤] عليه وهو في ملأ من قومه فقال: من هذه؟ فقالوا: عائشة رضى الله عنها، فقال: والله ما نجت منه ولا نجا منها، وقال: امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها[٨٥].

والخطاب في قوله: "لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ": قال المفسرون: هذا خطاب لعائشة وصفوان بن المعطل، وقيل: لمن ساءه ذلك من المؤمنين، وخاصة رسول الله ﷺ ، وأبي بكر، وعائشة رضى الله عنهم[٨٦].

قال الزمخشري: (ومعنى: "كونه خيراً لهم": أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم؛ لأنه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة، وأنه نزلت فيه ثماني عشرة آية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله ﷺ ، وتسلية له، وتنزيه لأم المؤمنين، وتطهير لأهل البيت، وتهويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به فلم تمجه أذناه، وعدة ألطاف للسامعين والتالين إلى يوم القيامة وفوائد دينية وأحكام وآداب لا تخفى على متأمليها)[٨٧].

وقال السعدي: (﴿لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ لما تضمن ذلك تبرئة أم المؤمنين ونزاهتها، والتنويه بذكرها حتى تناول عموم المدح سائر زوجات النبي ﷺ ، ولما تضمن من بيان الآيات المضطر إليها العباد التي ما زال العمل بها إلى يوم القيامة، فكل هذا خير عظيم؛ لولا مقالة أهل الإفك لم يحصل ذلك، وإذا أراد الله أمراً جعل له سبباً، ولذلك جعل الخطاب عاماً مع المؤمنين كلهم، وأخبر أن قدح بعضهم ببعض كقدح في أنفسهم، ففيه أن المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، واجتماعهم على مصالحهم، كالجسد الواحد، والمؤمن للمؤمن كالبنيان

(٨٣) الغَميزةُ: الغَمِيزةُ العيبُ، يُقَال: مَا فِيهِ غَمِيزةٌ: أَي مَا فِيهِ عيبٌ. انظر: تهذيب اللغة، (٨/ ٨١).

(٨٤) الهودج:: مَرْكَبٌ للنساءِ مُقَبَّبٌ وغيرُ مُقَبَّبٍ، يُصنَع من العِصِيّ ثمَّ يُجْعَل فوقَه الخَشبُ فيُقبَّبُ أو محْمَلٌ لَهُ قُبَّةٌ تُسْتَر بالثياب يَرْكَب فِيهِ النِّسَاءُ. انظر: تاج العروس، (٦/ ٢٧٤).

(٨٥) انظر: البحر المحيط في التفسير، (٨ / ٢٠)، وفتح القدير، (٤ / ١٥).

(٨٦) انظر: : زاد المسير في علم التفسير، (٣ / ٢٨٢، ٢٨٣).

(٨٧) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (٣ / ٢١٧، ٢١٨).

يشد بعضه بعضاً، فكما أنه يكره أن يقدح أحد في عرضه، فليكره من كل أحد، أن يقدح في أخيه المؤمن، الذي بمنزلة نفسه، وما لم يصل العبد إلى هذه الحالة، فإنه من نقص إيمانه وعدم نصحه)[٨٨].

إن النهي عن الحسبان نبه الله فيه عائشة- رضي الله عنها- وكذا أهل الإيمان إلى يوم القيامة أن ما أصابهم ليس فيه شر البتة، بل هو خير على ما وضع الله الشر والخير عليه في هذه الدنيا من المقابلة بين الضر والنفع، ورجحان النفع في جانب الخير، ورجحان الضر في جانب الشر، فالشرية والخيرية بالنسبة لجماعة المؤمنين في عاقبة هذا الإثم ونتائجه[٨٩].

وهذا فيه تربية للمسلم على الرضا بقضاء الله – عز وجل-؛ فهم صبروا على هذا الغم طلباً لمرضاة الله – تعالى- فاستوجبوا به الثواب، وهذه طريقة المؤمنين عند وقوع البلاء والظلم بهم[٩٠]؛ فالنفوس الطاهرة قد تتأذى بالبلاء، وتضيق به صدورهم لكنه يحمل في طيَّاته خيراً عظيماً حين ينجلي هذا الدخان، ويتبدد هذا الضباب، فيسفر وجه الصواب، ويكشف عن آية من آيات الله في حصول الخير والفلاح؛ عَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :«**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَه**»[٩١].

يقول ابن عاشور – موضحاً هذا النهي عن الحسبان أيما توضيح-: (وَالشَّرُّ الْمَحْسُوبُ: أَنَّهُ أَحْدَثَ فِي نَفَرٍ مَعْصِيَةَ الْكَذِبِ وَالْقَذْفِ وَالْمُؤْمِنُونَ يَوَدُّونَ أَنْ تَكُونَ جَمَاعَتُهُمْ خَالِصَةً مِنَ النَّقَائِصِ- فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ الْفَاضِلَةِ-، فَلَمَّا حدث فيهم هَذَا الِاضْطِرَابُ حَسِبُوهُ شَرًّا نَزَلَ بِهِمْ، وَمَعْنَى نَفْيِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ شَرًّا لَهُمْ؛ لِأَنَّهُ يَضِيرُهُمْ بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ الْأَسَفِ الزَّائِلِ، وَهُوَ

(٨٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص ٥٦٣).

(٨٩) انظر: أحكام القرآن، ابن العربي المالكي، (٣/ ٣٦٣)، والجامع لأحكام القرآن، (١٢/ ١٩٨).

(٩٠) مفاتيح الغيب، (٣٢/ ٣٣٨).

(٩١) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ- بَابُ الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، (٤ / ٢٢٩٥ رقم ٢٩٩٩).

دُونَ الشَّرِّ؛ لِأَنَّهُ آيِلٌ إِلَى تَوْبَةِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ، فَيَتَمَحَّضُ إِثْمُهُ لِلْمُنَافِقِينَ وَهُمْ جَمَاعَةٌ أُخْرَى لَا يَضُرُّ ضَلَالُهُمُ الْمُسْلِمِينَ)[٩٢].

أرأيت كيف أن هذا النهي في الآية السابقة قد أظهر لنا أن هذا الداء لحق النبي ﷺ، فعالجه بدواء من الله؛ إذ ناله من الألم ما ينال البشر في هذه الحال، ولكنه صبر على الأذى، وعالج الأمر بالحكمة والروية لَا بالغضب والتسرع، نعم إن الاتهام سبق إلى نفسه ولكن لم يسبق بالعمل استجابة للغضب من غير تثبيت واستيقان.

كما بيَّن النهي أنه لَا يصح الإفراط في الغضب حتى تنحل قوى النفس، وأنه أنه لا يصح أن تتخذ مجالس السمر للحديث في الأعراض، واتهام الأبرياء والبريئات الطاهرات من النساء، وأنه لَا يجوز أن يتلقى العلم في الأعراض عن الأسماع، وتردد ما سمعت الآذان الأفواه، بل إن علم ذلك يكون بالمعاينة، وأن الإفشاء شر في ذاته، والستر أولى[٩٣].

(٩٢) التحرير والتنوير، (١٨/ ١٧٢).

(٩٣) انظر: زهرة التفاسير، الشيخ/ محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، (١٠/ ٥١٥٤، ٥١٥٥)، ط: دار الفكر العربي.

الخاتمة

وتشتمل على أهم نتائج البحث وتوصياته

أولًا: نتائج البحث:

١- وردت مادة "حسب" في القرآن الكريم في أكثر من مائة موضع، وقد تعددت المعاني التي استعملها الكتاب العزيز في الآيات الكريمة لهذه المادة حسب السياق الذي وردت فيه، وقد جاءت بمعنى الظن، والكفاية، والعدد والتقدير، والعذاب، ولها معاني إضافية ترجع إلى هذه المعاني الأساسية.

٢- النهي عن الحسبان هو حبس النفس ومنعها عن الظن السيء الذي يردي أصحابه إلى مهاوي الردى حيث يشكل عليهم الطريق إشكالاً كبيراً، ويمنعهم من الالتفات، ويدلَّس عليهم الحقائق الواضحات؛ ويصوَّر لهم الأشياء بغير حقيقتها؛ ويستلزم حينئذٍ من يصحح له مسارهم، ويكشف لهم سوء حسبانهم وتقديرهم، في القضايا المهمة، والحوادث المدلهمة.

٣- بلغ عدد المواضع التي ورد فيها النهي عن الحسبان في القرآن الكريم "سبعة مواضع".

٤- حوت بعض الآيات التي ورد فيها النهي عن الحسبان -﴿أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾- رد صارم على شماتة المنافقين، وتحريض للمؤمنين على القتال، وتقرير لحقيقة ثابتة هي أن الاستشهاد في سبيل الله ليس فناء بل هو بقاء، وأن الحذر لا يدفع القدر، فلا نسلم أن القتل في سبيل الله مكروه، وكيف يقال ذلك والشهيد أحياه الله بعد القتل، وخصه بدرجات القربة والكرامة.

٥- النهي عن الحسان- ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾- فيه قطع أطماع الكافرين في النجاة، وإقناطهم من الخلاص، وفيه توهين لشأن المشركين، وتطمين لقلوب المسلمين، وتبشيرهم بالنصر، ودفع لوساوس الخوف التي تطرقهم وهم يعطون من أنفسهم الوفاء لعدوهم بالعهد الذي بينهم وبينه على حين أنه يغدر بهم، ويباغتهم بهذا الغدر، قد تعرضوا لبغض الله وغضبه؛ وحسبهم هذا خسرانا وبلاء! .

٦- النهي عن الحسبان ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ﴾ قد كشف الله به عن سوء فعلهم، وخبث نفوسهم حيث بخلوا بشيء ليس وليد

علمهم واجتهادهم، وإنما هذا الشيء منحه الله لهم بفضله وجوده، فكان الأولى لهم أن يشكروه، وأن يبذلوا مما أعطاهم في سبيله، وفي هذا حث للمسلم على الإنفاق على المحتاجين والمعوزين.

٧- النهي عن الحسبان - ﴿فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾- فيه بث روح الأمل والتفاؤل في نفس المظلوم؛ لأن الله مطلع على أحوال الظالمين وأفعالهم لا يخفى عليه خافية، وسيعاقبهم على قليله وكثيره لا محالة، ويُحْصِي ذلك ويعده عليهم عداً

٨- النهي عن الحسبان -﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾- قد فتح باب الأمل أمام الحيارى، والمتخبطين، وسلى المظلومين؛ فالله وإن كان قد أمهل الظالمين، وأدرَّ عليهم الأرزاق، وتركهم يتقلبون في البلاد آمنين مطمئنين، فليس في هذا ما يدل على حسن حالهم فإن الله يملي للظالم، ويمهله ليزداد إثماً حتى إذا أخذه لم يفلته.

٩- الناظر في آيات النهي عن الحسبان يجد أنها قد حوت أسلوباً فريداً في حث المسلم على التحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل كالنهي عن الحمد بما لم يفعل ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا﴾؛ وهذا فيه ترهيب للمؤمنين عما ذم عليه أهلها من الإصرار على القبائح، والفرح بها ومحبة المدح بما عرى عنه من الفضائل.

١٠- النهي عن الحسبان ﴿إِنَّ الَّذِينَ جاؤُ بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ﴾ فيه تربية للمسلم على التسليم بالقضاء، والرضا بالقدر، وأن الخير يكمن في المِحَن، ويخرج من رَحِم البلايا؛ فالنفوس الطاهرة قد تتأذى بالبلاء، وتضيق به صدورهم لكنه يحمل في طيَّاته خيراً عظيماً حين ينجلي هذا الدخان، ويتبدد هذا الضباب، فيسفر وجه الصواب، ويكشف عن فضل الله في حصول الخير والفلاح.

ثانيًا: التوصيات:

١١- إقامة ندوات توعوية للنشء؛ لبيان خطورة الحسبان وخاصة إذا كان من دعاء الأمهات؛ فقد يلاقي استجابة، وتكون عواقبه وخيمة على الأبناء.

قائمة المصادر والمراجع

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) (م.ح)، الناشر: إحياء التراث العربي.

٢- أسباب النزول: علي بن أحمد الواحدي النيسابوي، أبو الحسن،(٤٦٨هـ) (م.ح)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.

٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) (م.ح)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

٤- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) (م.ح)، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٥- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية، ١٩٨٤هـ.

٦- تفسير القرآن الحكيم: محمد رشيد رضا(١٩٣٥هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.

٧- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) (م.ح)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ .

٨- التفسير الوسيط للقرآن الكريم: أ.د/ محمد سيد طنطاوي(المتوفى ١٤٣١هـ)، الناشر: دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى.

٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)(المحقق)، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

١٠- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) (م.ح) الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١١- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه: أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري(المتوفي: ٢٥٦هـ) (م.ح) الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٢- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) (م.ح)، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ.

١٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود شهاب الدين أبو الثناء الحسيني الآلوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) (م.ح)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

١٤- زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) (م.ح)، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: الأولى،١٤٢٢هـ .

١٥- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) (م.ح)، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت- الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

١٦- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) (م.ح)، الناشر: دار ابن كثير، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ.

١٧- الكشاف عن حقائق التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) (م.ح)، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧هـ.

١٨- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور(المتوفي: ٧١١هـ):الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ.

١٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية(المتوفي: ٥٤٦هـ) (م.ح)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة : الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٠- مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) (م.ح)، الناشر: المكتبة العصرية ببيروت، - الدار النموذجية بصيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٢١- مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) (م.ح)، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى،١٤١٩ هـ.

٢٢- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) (م.ح)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبي: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) (م.ح)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

٢٤- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)- د. محمد حسن حسن جبل، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة،الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.

٢٥- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد عبد الباقي، ط: دار الحديث، ١٣٦٤هـ.

٢٦- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) (م.ح)، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٧- مفاتيح الغيب= التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) (م.ح)، الناشر: إحياء التراث العربي، الطبعة : الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٢٨- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) (م.ح)، الناشر: دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

Romanization of sources

- Irshād al-ʻaql al-salīm ilá mazāyā al-Kitāb al-Karīm : Abū al-Saʻūd al-ʻImādī Muḥammad ibn Muḥammad ibn Muṣṭafá (al-mutawaffá : 982h) (M. Ḥ), al-Nāshir : Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī.
- asbāb al-nuzūl : ʻAlī ibn Aḥmad al-Wāḥidī alnysābwy, Abū al-Ḥasan, (468h) (M. Ḥ), al-Nāshir : Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah – byrwt-al-Ṭabʻah : al-ūlá, 1411h.
- Anwār al-tanzīl wa-asrār al-ta'wīl : Nāṣir al-Dīn Abū Saʻīd ʻAbd Allāh ibn ʻUmar ibn Muḥammad al-Shīrāzī al-Bayḍāwī (al-mutawaffá : 685h) (M. Ḥ), al-Nāshir : Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī, al-Ṭabʻah al-ūlá, 1418 H.
- al-Baḥr al-muḥīṭ fī al-tafsīr : Abū Ḥayyān Muḥammad ibn Yūsuf ibn ʻAlī ibn Yūsuf ibn Ḥayyān Athīr al-Dīn al-Andalusī (al-mutawaffá : 745h) (M. Ḥ), al-Nāshir : Dār al-Fikr, Bayrūt, 1420 H.
- al-Taḥrīr wa-al-tanwīr : Muḥammad al-Ṭāhir ibn Muḥammad ibn Muḥammad al-Ṭāhir ibn ʻĀshūr al-Tūnisī (al-mutawaffá : 1393h), al-Nāshir : al-Dār al-Tūnisīyah, 1984h.

- tafsīr al-Qur’ān al-Ḥakīm : Muḥammad Rashīd Riḍā (1935h), al-Nāshir : al-Hay’ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb, 1990 M.
- tafsīr al-Qur’ān al-‘Aẓīm : Abū al-Fidā’ Ismā‘īl ibn ‘Umar ibn Kathīr al-Qurashī al-Baṣrī thumma al-Dimashqī (al-mutawaffá : 774h) (M. Ḥ), al-Nāshir : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, al-Ṭab‘ah al-ūlá, 1419h.
- al-tafsīr al-Wasīṭ lil-Qur’ān al-Karīm : U. D / Muḥammad Sayyid Ṭanṭāwī (al-mutawaffá 1431h), al-Nāshir : Dār Nahḍat Miṣr, al-Qāhirah, al-Ṭab‘ah al-ūlá.
- Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī tafsīr kalām al-Mannān : ‘Abd al-Raḥmān ibn Nāṣir ibn ‘Abd Allāh al-Sa‘dī (al-mutawaffá : 1376h) (al-muḥaqqiq), al-Nāshir : Mu’assasat al-Risālah, al-Ṭab‘ah al-ūlá, 1420h-2000 M.
- Jāmi‘ al-Bayān fī Ta’wīl al-Qur’ān : Muḥammad ibn Jarīr ibn Yazīd ibn Kathīr ibn Ghālib al-Āmulī, Abū Ja‘far al-Ṭabarī (al-mutawaffá : 310h) (M. Ḥ) al-Nāshir : Mu’assasat al-Risālah, al-Ṭab‘ah al-ūlá, 1420h.
- al-Jāmi‘ al-Musnad al-ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar min umūr Rasūl Allāh ṣallá Allāh ‘alayhi wa-sallam wsnnh wa-ayyāmuh : Abū ‘Abd Allāh, Muḥammad ibn Ismā‘īl

ibn Ibrāhīm ibn al-Mughīrah Ibn Bardizbah al-Bukhārī (al-mutawaffá : 256h) (M. Ḥ) al-Nāshir : Dār Ṭawq al-najāh (muṣawwarah ‘an al-sulṭānīyah b’ḍāfh trqym trqym Muḥammad Fu’ād ‘Abd al-Bāqī), al-Ṭab‘ah al-ūlá, 1422h.

- al-Jāmi‘ li-aḥkām al-Qur’ān : Abū ‘Abd Allāh Muḥammad ibn Aḥmad ibn Abī Bakr ibn Faraḥ al-Anṣārī al-Khazrajī Shams al-Dīn al-Qurṭubī (al-mutawaffá : 671h) (M. Ḥ), al-Nāshir : Dār al-Kutub al-Miṣrīyah, al-Qāhirah, al-Ṭab‘ah al-thāniyah, 1384h.
- Rūḥ al-ma‘ānī fī tafsīr al-Qur’ān al-‘Aẓīm wa-al-Sab‘ al-mathānī : Maḥmūd Shihāb al-Dīn Abū al-Thanā’ al-Ḥusaynī al-Ālūsī (al-mutawaffá : 1270h) (M. Ḥ), al-Nāshir : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, al-Ṭab‘ah : al-ūlá, 1415 H.
- Zād al-Musayyar fī ‘ilm al-tafsīr : Jamāl al-Dīn Abū al-Faraj ‘Abd al-Raḥmān ibn ‘Alī ibn Muḥammad al-Jawzī (al-mutawaffá : 597h) (M. Ḥ), al-Nāshir : Dār al-Kitāb al-‘Arabī, al-Ṭab‘ah : al-ūlá, 1422 H.
- al-ṣiḥāḥ Tāj al-lughah wa-ṣiḥāḥ al-‘Arabīyah : Abū Naṣr Ismā‘īl ibn Ḥammād al-Jawharī al-Fārābī (al-mutawaffá : 393h) (M. Ḥ), al-Nāshir : Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn – byrwt-al-Ṭab‘ah : al-rābi‘ah, 1407 h - 1987 M.

- Fatḥ al-qadīr : Muḥammad ibn ʻAlī ibn Muḥammad ibn ʻAbd Allāh al-Shawkānī al-Yamanī (al-mutawaffá : 1250h) (M. Ḥ), al-Nāshir : Dār Ibn Kathīr, al-Ṭabʻah : al-ūlá, 1414 H.
- al-Kashshāf ʻan ḥaqā'iq al-tanzīl : Abū al-Qāsim Maḥmūd ibn ʻAmr ibn Aḥmad, al-Zamakhsharī Jār Allāh (al-mutawaffá : 538h) (M. Ḥ), al-Nāshir : Dār al-Kitāb al-ʻArabī, al-Ṭabʻah : al-thālithah, 1407h.
- Lisān al-ʻArab, Abū al-Faḍl Jamāl al-Dīn Muḥammad ibn Mukarram ibn manẓūr (al-mutawaffá : 711h) : al-Nāshir : Dār Ṣādir, Bayrūt, al-Ṭabʻah : al-thālithah, 1414 H.
- al-muḥarrir al-Wajīz fī tafsīr al-Kitāb al-ʻAzīz : al-Qāḍī Abū Muḥammad ʻAbd al-Ḥaqq ibn Ghālib Ibn ʻAṭīyah (al-mutawaffá : 546h) (M. Ḥ), al-Nāshir : Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, al-Ṭabʻah : al-ūlá, 1422h.
- Mukhtār al-ṣiḥāḥ : Zayn al-Dīn Abū ʻAbd Allāh Muḥammad ibn Abī Bakr ibn ʻAbd al-Qādir al-Ḥanafī al-Rāzī (al-mutawaffá : 666h) (M. Ḥ), al-Nāshir : al-Maktabah al-ʻAṣrīyah bi-Bayrūt, - al-Dār al-Namūdhajīyah bṣydā, al-Ṭabʻah : al-khāmisah, 1420h / 1999M.
- Madārik al-tanzīl wa-ḥaqā'iq al-ta'wīl : Abū al-Barakāt ʻAbd Allāh ibn Aḥmad ibn Maḥmūd Ḥāfiẓ

al-Dīn al-Nasafī (al-mutawaffá : 710h) (M. Ḥ), al-Nāshir : Dār al-Kalim al-Ṭayyib, Bayrūt, al-Ṭab‘ah : al-ūlá, 1419 H.

- al-Musnad al-ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar bi-naql al-‘Adl ‘an al-‘Adl ilá Rasūl Allāh ṣallá Allāh ‘alayhi wa-sallam : Muslim ibn al-Ḥajjāj Abū al-Ḥasan al-Qushayrī al-Nīsābūrī (al-mutawaffá : 261h) (M. Ḥ), al-Nāshir : Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī – Bayrūt.
- al-Miṣbāḥ al-munīr fī Gharīb al-sharḥ al-Kabbī : Aḥmad ibn Muḥammad ibn ‘Alī al-Fayyūmī thumma al-Ḥamawī, Abū al-‘Abbās (al-mutawaffá : Naḥwa 770h) (M. Ḥ), al-Nāshir : al-Maktabah al-‘Ilmīyah – Bayrūt.
- al-Mu‘jam al-ishtiqāqī al-mu’aṣṣal li-alfāẓ al-Qur’ān al-Karīm (m’ṣṣal bi-bayān al-‘Alāqāt bayna alfāẓ al-Qur’ān al-Karīm bi-aṣwātihā wa-bayna ma‘ānīhā) - D. Muḥammad Ḥasan Ḥasan Jabal, al-Nāshir : Maktabat al-Ādāb – al-Qāhirah, al-Ṭab‘ah : al-ūlá, 2010 M.
- al-Mu‘jam al-mufahras li-alfāẓ al-Qur’ān al-Karīm, Muḥammad ‘Abd al-Bāqī, Ṭ : Dār al-ḥadīth, 1364h.
- Mu‘jam Maqāyīs al-lughah : Aḥmad ibn Fāris ibn Zakarīyā’ al-Qazwīnī al-Rāzī, Abū al-Ḥusayn (al-

mutawaffá : 395h) (M. Ḥ), al-Nāshir : Dār al-Fikr, 1399h-1979m.

- Mafātīḥ alghyb= al-tafsīr al-kabīr : Abū ‘Abd Allāh Muḥammad ibn ‘Umar ibn al-Ḥasan ibn al-Ḥusayn al-Taymī al-Rāzī al-mulaqqab bfkhr al-Dīn al-Rāzī Khaṭīb al-rayy (al-mutawaffá : 606h) (M. Ḥ), al-Nāshir : Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, al-Ṭab‘ah : al-thālithah, 1420h.
- al-Mufradāt fī Gharīb al-Qur’ān : Abū al-Qāsim al-Ḥusayn ibn Muḥammad al-ma‘rūf bālrāghb al’ṣfhāná (al-mutawaffá : 502h) (M. Ḥ), al-Nāshir : Dār al-Qalam, Bayrūt, al-Ṭab‘ah al-ūlá, 1412h.